

باريس

يوم الخميس في ١٨ رجب سنة ١٣٠١ و ١٥ مايو سنة ١٨٨٤

دخل الانكليز مصر فزعموا ان ما كان موجودا من الجند الاهلي نفخت فيه روح العصيان فلا يصلح للاعمال العسكرية فطردوه ثم اختاروا من الاهالي جنداً جديداً في عدد قليل واستلم الرئاسة عليه نخباطهم البارعون وبعد اشهر اثنوا عليه بحسن النظام وسرعة النجاح وطنظت بالاطراء عليه جرائدهم ولم تلبث بعد هذا ان رأيناهم يسارعون الى طرد الجند الجديد ففهموا بذلك مراراً مع العزم على عدم استبداله باخر من ابناء الوطن وكلما صدتهم بعض الموانع السياسية عن همهم كتبوا امرهم زمناً ثم عادوا للاشارة اليه تعللاً بما ينسبونه الى بعض العساكر وهو من دسائسهم وآخر الامر خفت اصواتهم واحسوا بعجزهم عن الاستبداد بطرد الحامية الوطنية وعلموا ان لا بد فيه من مشورة الدول .

في هذه الايام رغبوا الى الدول في عقد مؤتمر للنظر في قانون التصفية وتحويره ووضع نظام للمالية المصرية يخفف عنها بعض اثقالها فصرحوا في لائحتهم المرسلة الى حكومات اوربا بضرورة طرد الجند الوطني رعاية للاقتصاد وبلزوم تخفيض فائدة الديون المصرية .

ان الانكليز من ست سنوات جعلوا بعض الضيق في المالية المصرية ذريعة للانقلاب العظيم الذي حصل في مصر والزموا الدولة العثمانية بمجاراتهم في ذلك الانقلاب ودافعوا عن الدائنين وزعموا من الحال تنقيص شي من الفوائد وطلبوا من الحكومة المصرية اذ ذلك تقليل عدد حاميتها ليتوفر من النقود ما يصرف لحقوق الدائنين واليوم عطفوا على المصريين (عطفة الاب الرحيم) وبسطوا ايديهم الى الدول يتمسكون مساعدتها لتخفيف الفائدة مع محو حاميتهم الوطنية . اليست البلاد المصرية كسائر بلاد العالم تحتاج الى حامية تحفظ حدودها من الخارج وتصون داخلها من الغوائل التي لا يأمن طروقها حكومة من الحكومات . ان في تلك القسوة الاولى والمرحة الثانية لسراً عظيماً للانكليز في مصر مطامع من زمن قديم يعدون سلطتهم عليها من ضروريات شوكتهم في الهند وفي خادهم ان المصريين لو كانت لهم ثروة مالية وقوة عسكرية عظيمة فانهم يمانعونهم فيما يريدون ببلادهم فضيقوا على المالية في تلك الاوقات والجاءوا الحكومة لتزيق قوتها العسكرية ليحصل الضعف في القوتين المالية والعسكرية فتمهد لهم طريق ما طمحو اليه وكان هذا التدبير سبباً في الانقلابات الذي تبعته هذه الحوادث الهائلة وبعد ما فتح لهم بضعف الحكومة سبيل المداخلة في مصر طفقوا يسعون بما جبلوا عليه من الهوينا في المضي الى مقاصدهم لايجاد عنوان غير التملك ينعون به اقامت عساكرهم ومأموريتهم في تلك

البلاد زمناً طويلاً ويكون وضع ذلك العنوان برأي الدول تماشياً من
 الوعد الذي وعدوها به مع ترقب حوادث السياسة في أوربا لعل حادثة
 منها تساعدكم على إبدال العنوان بما هو المطلوب لهم وراوا من أحسن
 الوسائل لدعوة الدول إليهم عرض المسئلة المالية

ولما كان من المحتوم في أرائهم بقاء عساكرهم في الديار المصرية
 فلا بد من طلب وسيلة لطرد الجنيد المصري حتى تكون الحاجة إلى
 عساكرهم قائمة بهذه الطريقة ربما خفيت على المصريين وغفل عنها كثير
 من الأوربيين إلا أنها من الطرق المتعارفة عند الإنكليز وهي التي
 سلكوها في البلاد الهندية ونالوا بسلوكمها السلطة المطلقة على تلك
 الأقطار الواسعة بدون سفك دماء غزيرة ولا مقاومة فتت شديدة .
 دمر الإنكليز (دخلوا بلا استئذان) على الهنديين في أراضيهم وأنشوا
 بينهم فتمكنوا من تفريق كلمة الأمراء وأغراء كل نواب أوراجا
 بالاستقلال والانفصال عن السلطنة النيمورية فتمزقت المملكة إلى
 ممالك صغيرة ثم أغروا كل أمير باخر يطلب قبره والتغلت على ملكة
 فصارت الأراضي الهندية الواسعة ميادين للقتال واضطر كل نواب
 أوراجا إلى التقود والجنود ليدافع بها عن حقه أو يتغلب بها على عدوه
 فعند ذلك تقدم الإنكليز بسعة الصدر وأنبساط النفس ومدوا أيديهم
 لمساعدة كل من المتنازعين وبسطوا لهم إحدى الراحتين بيد الزهب
 وقبضوا بالآخرى على سيف الغلب . بدأوا قبل كل عمل بتنفيذ أولئك

الملوك الصغار من عساكرهم الاهلية ورموها بالضعف والجبن والحيانة والاختلال ثم اخذوا في تعظيم شان جيوشهم الانكليزية وقوادها وما هم عليه من القوة والبسالة والنظام حتى اقتنع كل نواب اوراجا بان لا ناصر له على مغالبه إلا بالجنود الانكليزية فاقبل الانكليز على اولئك السذج بضمون لكل صيانة ملكه وفوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الانكليز ويكون بعض الجنود من الهنديين وبعضها من البريطانيين وما على الحاكم إلا ان يؤدي نفقتها ثم خلبوا عقول اولئك الامراء بدهائهم وبهرجة وعودهم واين مقامهم حتى ارضوهم بان يكون على القرب من عاصمة كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شر بعضهم عن بعض وصار الانكليز بذلك اولياء المتباغضين وسموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التي اعدوها للحماية عنها ففرقة سموها (عمرية) واخرى سموها جمعفريه وغيرها سموها (كشتية) ارضاء لاهل السنة والشيعة والوثنيين

ولما فرغت خزائن الحكام وقصرت بهم الثروة عن اداء النفقات العسكرية فتش الانكليز خزائنتهم وتساهلوا مع اولئك الحكام في القرض واظهروا غاية السماحة فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة وبعضهم بدون فائدة وينتظرون به الميسرة حتى ظن كل امير ان الله قد امدده باعوان من السماء وبعد مضي زمان كانوا يومثون الى طلب ديونهم بغاية الرفق ويشيرون الى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف فاذا عجز الامير

عن الاداء قالوا انا نعلم ان وفاء الديون والقيام بنفقات الجنود يصعب عليكم ونحن ننصحكم ان تفوضوا الينا العمل في قطعة كذا من الارض نستغلها ونستوفي منها ديوننا وننفق من غلاتها على الجيوش التي اقمناها لكم ثم الارض ارضكم نردها اليكم عند الاستيفاء والاستغناء وانما نحن خادمون لكم فيضعون ايديهم على غسرات الاراضي وفجائها وفي اثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعاً حصينة وحصوناً منيعة كما يفعلون ذلك في تكن (اما كن اقامة العساكر) عساكرهم على ابواب العواصم الهندية . وفي خلال هذا يفتحون للامراء ابواباً من الاسراف والتبذير ويقرضونهم ويقتضون قرضهم بالقيام على اراض اخرى يضمونها الى الاولى ثم يحضون نار العداوة بين الحكام لتتشب بينهم حروب فيتدخلون في امر الصلح فيجبرون احد المتحاربين على التنازل للآخر عن جزء من املاكه ليتنازل لهم الثاني عن قطعة من اراضيه وهم في جميع اعمالهم موسوون بالخادم الصادق والناصح الامين اكل من المتغالبين . وبعد هذا فلهم شئون لا يهتمونها في ايقاع الشقاق بين سائر الاهالي لتضعف قوة الوحدة الداخلية ويخرب بعضهم بيوت بعض حتى اذا بلغ السير نهايته واضمحلت جميع القوى من الحاكم والمحكوم وغلت الايدي فلا يستطيع احد حراكاً . اقروا الحاكم الى الهزرة بسيوف تلك العساكر التي كانت حامية له واقية لبلاده وكانت تشخذلجز عنقه من سنين طويلة وينفق على صقالها من ماله ثم خلفوه على ملكه وكانوا يميلون

بقوتهم الى احد اعضاء العائلة المالكة ليطلب الملك فيظلمون المالك ويولون الطالب على شريطة ان يقطعهم ارضاً او يمنحهم امتيازاً فيجولون المالك من الاب لابن ومن الاخ لاختيه ومن العم لابن اختيه وفي الكل هم الراجحون . هذا سيرهم في الهند وهو على بعد من مراقبة اوربا . ما فاجأوا احداً بحرب وما اختطفوا ملكاً بقوة مغالبة بل ما اعلنوا سيادتهم على مملكة صغيرة ولا كبيرة إلا بعد ما ايقنوا ان لا قوة لحاكمها ولا اعاليتها ولا بما تطرف به اجفانهم

اولئك الانكليز باقعة العالم واحبال الحيل يريدون اليوم طرد العساكر المصرية واراض مصر لا تحررها الملائكة فلا تستغني عن حامية فان تم ما ارادوا زينوا لبعض ذوي السلطة في مصر ان يطلب منهم جنداً انكليزياً يكون خادماً له وحافظاً للملكه فان لم يقبل داروا بحيلتهم تحت استار التمويه على كل من له حق في الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه حتي يعثروا بمن يقبل نصحهم او غشهم ذهباً عن حقيقة القصد فيقيمونه حاكماً خلفاً لمن لم نسمح ذمته بالقبول وتكون رغبة المغرور حجة لم عند اوربا . هذا سر انقلاب الانكليز على الجند الوطني وقدحهم في سيرته بعد الثناء على حسن استعدادده وسعيهم الى طرده بالادلة الواهية والعالل الواهنة

اما المؤتمر فالداعي اليه ان العدوان في هذه الازمان لا ياتيه المتدنون كما كان في الاحقاب الخالية مشوه الوجه منكر الصورة يعرفه

الذي والغبي بل من اراد عدواناً فلا بد ان يصفه بمواكب من الادلة وحفال
 (جمع) من البراهين وهو ما يعبرون عنه بالحقوق والمصالح وما اسع
 الوقوف على كنه العدوان وهو في هذه الحيلة وتلك الهيئة الجميلة
 يريد الانكليز عقد المؤتمر ويرغبون قصر المداولة فيه على المسألة
 المالية ليضمنوا ديون القطر المصري ويكفلوا للدائنين اراء حقوقهم
 وياخذوا على انفسهم عهدة الاتفاق على الادارات المصرية مدة من
 الزمان لترخص لهم الدول الاقامة في وادي النيل الى امد فيكون
 تفويض الدول حجة لهم في التصريف وادارة شئون الحكومة المصرية
 ما دام السلم مظللاً بلاد اوربا فاذا حدث حادث حرب في الدول
 الاوربية وما هو بعيد الوقوع تربعوا في تلك البلاد واناخوا بكل كلامهم
 وضربرا بجرانهم على اراضيها والقوا عصاهم . هذا سر شفقة الانكليز
 على المصريين وهو سر رغبتهم في وقوف المؤتمر عند شئون المالية
 هذه المصيبة العظمى والداهية الدهماء التي تتحفز لتنفذ على
 المصريين كل تمس بحقيقتها جانب المانيا كلا . فان منافع المانيا الحقيقية
 لا تتعلق لما بالمسائل المصرية وهي في الشغل بما هو اهم منها وليست
 دولة اوستريا باقرب الى المصائب المصرية من المانيا على ان كلا من
 الدولتين ليس في استطاعتها تأييد فكرها بالعمل لو مست الحوادث
 المصرية شيئاً من مصالحها فان مواقع الدولتين لا تساعداهما على الاضرار
 بدولة الانكليز . اما ايطاليا فهي ساكنة الجاش بما توصل نواله في افرقيا

بمساعدة انكثرا . نعم لهذا السيل الجارف تدفق على بيت محمد علي
باشا فيخشى على اركان ذلك البيت لو لم يتدارك امره .

اما الدولة العثمانية فلو حولنا النظر عن حقوقها الثابتة في الاراضي
المصرية من وجوه كثيرة فليس يخفى علينا ان الولاية على تلك الاراضي
هي الركن الاعظم للسلطة العثمانية في سوريا وقسم عظيم مما يتصل بها
من اسيا الصغرى وفي الحجاز واليمن فمن الفروض على العثمانيين ان
يبدلوا وسعهم لصيانة مصر دفاعاً عن حقوقهم المقررة وحفظاً لشوكتهم
في معظم ممالكهم ولا يسوغ لهم شرائع الملك ان يفرطوا في المسئلة
المصرية لاني جزئي منها ولا كلي فان مصر عقدة لتصل بها اطراف
السلطة العثمانية فاذا انحلت فقد انحلت « والعياذ بالله » سائر العقدة .

ليس لعثماني ان يتوسد وسادة السياسة البسماركية الناعمة فان
الحاجات الطبيعية والدواعي الجوهرية هي الحاكمة على الامم ولا اعتبار
في السياسة بالاطوار العارضة ربما يهيم بسمارك ان يشتري بمصلحة
العثمانيين وداد الانكليز لتأييد سياسته وترك فرنسا منفردة بلا حليف
وله ان يلقي بمصلحة العثمانيين في ايدي الروس اذا مست الحاجة ليدفع
عن نفسه شراً يتوقعه وليس لبسمارك ادنى غاية في الاتصال
بالعثمانيين إلا بهذا المقدار . يفدي بهم منفعة من منافعه ومن نظر الى
احوال الامم بما تقتضيه طبائعها حكم بذلك حكماً قاطعاً .

نعم من الدول دولة فرنسا كانت لها مزايا في ارض مصر اشرفت

على الزوال وليس بالسهل عليها ضياعها ولها املاك واسعة فيما وراء البحر الاحمر ولا تصان سلطتها على تلك الاملاك اذا نشبت اظافر الانكليز في احشاء مصر باي اسم كان وتحت اي عنوان فاصول السياسة الفرنسية لا تسمح للفرنساوين بالتساهل في المسائل المصرية ودولة الروس تسابق دولة انكلترا في النصر والغلب بشرق اسيا وتنافس الالمان في القرة بارربا ولها مع المانيا مزاحمت خفية ثابتة في عناصر الامتين لا يزيلها هذا التألف الظاهري فقد يكون من احكام سياستها الانضمام الى دولة فرنسا لمضايقة انكلترا في البلاد المصرية بل النظر في طبيعة حال الامتين يقضي بلزوم اتحادهما في المشاكل الاوربية ايضا وربما تكون هذه المسئلة بداية الارتباط بين هاتين الدولتين .

ولعل هذه الفرصة لاتفوت العثمانيين ولا تحجبهم الحوادث الماضية عن ادراك هاته النكسة وهي ان الروسيين هم اشد الناس حاجة الى الاتحاد مع الدولة العثمانية في هذه الاوقات لما فتح لهم من ابواب المنعم في اسيا ويرون الالفة مع العثمانيين اعظم عضد لهم في نيل مطامحهم بتلك الافطار بما للسلطان من المنزلة العليا في قلوب مسلميها ولا تأخذ العثمانيين رجفة من ارداد الانكليز وابعادهم فليس لهم سلاح يشهرونه على الدولة العثمانية سوى التهيب ومن المحال ان يفتحوها بحرب والا تقلصت سلطتهم عن البلاد المشرقية باسرها فاذا ثبتت الدولة في مطالبها واشتدت في ارجاع حقوقها لجا الانكليز للخضوع والاستكانة

اليها وهذا من البديهيّات الجلية عند كل من وقف على احوال الانكليز في الهند وعلى مكانة السلطان العثماني في قلوب الهنديين عموماً والحكم لله يفعل ما يشاء .

العروة الوثقى

لا يظن احد من الناس ان جريدتنا هذه بتخصيصها للمسلمين بالذكر احياناً ومدافعتهما عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في اوطانهم ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركهم في المنافع من اجيال طويلة فليس هذا من شأننا ولا مما نميل اليه ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا ولكن النرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الاجانب عليهم والافساد في بلادهم وقد نخص المسلمين بالخطاب لانهم النضر الغالب في الاقطار التي غدر بها الاجنيون واذلوا اهلها اجمعين واستأثروا بجميع خيراتها وسنكتب مقالة مفردة في هذا الباب ان شاء الله .

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين

قالوا للانسان كمال مفروض عليه ان يسعى اليه وقالوا انه عرضة لنقص يجب عليه الترفع عنه وقالوا كماله في استيفاء ما يمكن من الفضائل

ونقصه في التلوث برزيلة من الرزائل . فما هي الفضائل وما هي الرزائل
الفضائل سبحانه للنفس من مقتضاها التأليف والتوفيق بين المتصفين بها
كالسخاء والعفة والحياء ونحوها فالسخيان لا يتشاحان ولا يتنازعان
في التعامل فان من سجية كل منهما البذل في الحق والمنع اذا اقتضاه
الحق فكل يعرف حده فيقف عنده فلا يوجد موضوع للنزاع عند
معاطات الاعمال المالية والاعفاء لا يتزاحمون على مشتبه من
المشتبهات فان من خلق كل منهم التجاني عن الشهوة وفي طبيسته لا يثار
بالرغائب وهكذا ارا استقرت جميع ماعده علماء التهذيب من الصفات
الفاضلة تجد ان من اوازم كل فضيلة منها التأليف بين المتصفين بها في
متعلق الاثر الماشي عن تلك الفضيلة فاذا اجتمعت الفضائل او غلبت
في شخصين مالت نفوسهما الى الاتحاد والالتئام في جميع الاعمال
والمقاسد او جلها ودامت الوحدة بينهما بمقدار رسوخ الفضيلة فيهما وعلى
هذا النحو يكون الامر في الاشخاص الكثيرة فالفضائل هي مناط الوحدة
بين الهيئة الاجتماعية وعروة الاتحاد بين الاحاد تميل بكل منهما الى
الاخر وتجذب الاخر الى من يشاكله حتى يكون الجمهور من الناس
كواحد منهم تتحرك بارادة واحدة ويطلب في حركته غاية واحدة بمجموع
الفضائل هو العدل في جميع الاعمال فاذا شمل طائفة من نوع الانسان
وقف بكل من احادها عند حد في عمله لا يتجاوز به بما يحق للآخر
فيه يكون التكافؤ والتوازن . ان كل شخص من افراد الانسان رجوع

خاص به واودعت فيه العناية الالهية من القوى ما به يحفظ وجوده وما به التناسل لبقاء النوع وهو في هذا يساوي سائر افراد الحيوان لكن قضت حكمة الله ان يكون الانسان ممتازاً عن بقية الانواع الحيوانية بكون اخر ووجود ارقى واعلى وهو كون الاجتماع حتى يتألف من افراده الكثيرة بنية واحدة يعمرها اسم واحد والافراد فيها كاعضاء تختلف في الوظائف والاشكال وانما كل يؤدى عمله لبقاء البنية الجامعة وتقويتها وتوفير حفظها من الوجود ليعود اليه نصيب من عملها الكلي كما اودع الله في اعضاء ابداننا وبنيتنا الشخصية . والفضائل في المجتمع الانساني كقوة الحياة المستكملة في كل عضو ما يقدره على اداء عمله مع الوقوف عند حد وظيفته كاليد بها البطش والتناول وليس من خصائصها الابصار والعين بها الابصار وتمييز الالوان والاشكال وليس من وظائفها البطش والكل حي بحياة واحدة وان شئت قلت الفضائل في عالم الانسان كالجذبة العامة في العالم الكبير فكما ان الجذبة العامة يحفظ بها نظام الكواكب والسيارات، وبالتوازن في الجازية ثبت كل كوكب في مركزه وحفظت النسبة بينه وبين الكوكب الاخر وانتظم بها سيره في مداره الخاص بتقدير العزيز المليم حتى تمت حكمة الله في وجود الاكوان وبقائها . كذلك شان الفضائل في الاجتماع الانساني بها يحفظ الله الوجود الشخصي الى الاجل المحدود ويثبت البقاء النوعي الى ان ياتي امر الله

اي امة يكون الواضع فيها والرافع والحارس والوازع والجالب والدافع وجميع من يدبر امورها ويسوسها في شؤونها انما هم افراد منها من هاماتها او من لهازمها « من الاعلياء والاوساط بل سائر الاطراف » ويكون كل واحد منها قائماً بحق ولا يختار مقصداً يعاكس مقصد الكل ولا يسعى الى غاية تميل به عن غاية الكل ولا يهمل عملاً يتعلق بالامة حتى يكون الجميع كالبنيان المتين لا تزغزه العواصف ولا تدكه الزلازل وبقوة كل منهم يجتمع للامة قوه تحفظ بها موقعها وتدفع بها عن شرفها ومجدها وترد غارة الاغيار عليها فهي الامة التي سادت فيها الفضائل واستعلت فيها مكارم الاخلاق

ان امة هذا شأنها لا يتخالف افرادها إلا للتالف ولا يتغيرون الا للاتحاد فمثلهم في اختلاف اعمالهم كمثل المتدبرين على محيط دائرة يتفارقان في مبدا المسير ليتلاقيا على نقطة من المحيط ومثلهم في تغاير ماخدمهم لجلب منافعهم كجاذبي طرفي خيطة واحدة (حبل واحد) كل اخذ بطرف مع تعادل القوتين ففي جذب احدهما لصاحبه ابعاد لنفسه عنه من وجه وحفظ لمكان قربه منه من وجه آخر فلا يفترقان ولا يتباينان ولا تفنى منفعة احدهما في منفعة الاخر . اما ان مساكن الافراد من مثل هذه الامة بما منحوه من الارتباط بينهم تكون كانصاف دائرة مركزها حياة الامة وعظمتها ولا يخرج ولا واحد منهم عن محيط الجنسية وانهم جلب منافعها واستكمال قوائدها كالجداول تمد البحر لتستمد منه

يرى كل واحد منهم ان ما تتهيج به النفوس البشرية وتمتاز بالميل اليه عن سائر الحيوانات من رفعة المكانة والغلب وبسطة الجاه ونفاذ الكلمة انما يمكن نواله اذا توفر للامة حظها من هذه المزايا فيسعى جهده لا لبلاغ كل واحد من الامة اقصى ما يوهله استعداده ليأخذ بسهم يناله فلا يهمل ولا يخون في الدفاع عن فرد من افرادها فضلاً عن هيئتها العامة وإلا فقد خان نفسه لانه ابطل آلة من آلات عمله وقطع سبباً من اسباب غايته ولا يحتقر واحداً من الآحاد ولا يزدري بعمله ويحسب الشخص من الامة وان كان صغيراً بمنزلة مسمار صغير في آلة كبيرة لو سقط منها تعطلت الآلة بسقوطه

عليك ان تنظر في حقائق هذه الصفات الفاضلة لتحكم بما ينشأ عنها من الاثر الذي يبناه . التعقل والتروي وانطلاق الفكر من قيود الاوهام والعفة والسخاء والقناعة والدمائة « لين الجانب » والوقار والتواضع وعظم الهمة والصبر والحلم والشجاعة والايثار « تقديم الزير بالمنفعة على النفس » والنجدة والسماحة والصدق والوفاء والامانة وسلامة الصدر من الحقد والحسد والعفو والرفق والمروءة والحمية وحب العدالة والشفقة اترى لو عمت هذه الصفات الجليلة امة من الامم او غلبت في افرادها يكون بينها سوى الاتحاد والالتزام التام هل يوجد مثار للخلاف والتنافر بين عاقلين حريين صادقين وفيين كريمين شجاعين رفيقين صابرين حليمين متواضعين وقورين عفيفين رحيمين . اما والله لو نفخت نسمة

من ارواح هذه الفضائل على ارض قوم وكانت مواتا لاحتيتها او قفر
 لانتبتها او جدبا لامطرتها من غيث الرحمة ما يسبغ نعمة الله عليها
 ولا قامت لها من الوحدة سباجا لا يخرق وحرزا منيعا لا يهتك وان اولى
 الامم بان تبلغ الكمال في هذه السجايا الشريفة امة قال نبيهم انما بعثت
 لانتم مكارم الاخلاق . الفضيلة حياة الامم تصون اجسامها عن تداخل
 العناصر الغريبة وتحفظها من الانحلال المؤدي الى الزوال ما كان ربك
 ليهلك القرى بظلم واهاها مصلحون

اما الرزائل فهي كفيات خبيثة تعرض للانفس من طبيعتها التحليل
 والتفريق بين النفوس المتكيفة بها كالقمة « قلة الحياء » والبذاء « التطاول
 على الاعراض بما لا تقتضيه الحشمة والادب من الكلام » والسفه والبله
 والطيش والتهور والجبن والدناءة والجزع والحقد والحسد والكبرياء
 والعجب واللجاج والسخرية والعدر والحيانة والكذب والنفاق فاي صفة
 من هذه الصفات تلوث بها نفسان القت بينهما العداوة والبغضاء
 وذهبت بهما مذاهب الخلاف الى حيث لا يبق امل في الوفاق فان
 طبيعة كل واحدة منها اما مجاوزة الحدود في التعدي على الحقوق واما
 السقوط الى ما لا يمكن معه للشخص اداء الواجب عليه لمن يشاركه في
 الجنسية او الملية او القبيلة او العشيرة او باي نوع من انواع التعامل
 والانسان مجبول بالطبع على النفرة ممن يتعدى على حقوقه او يمنعه حتما
 منها وان شئت فنخيل وحقين بذين سفهين جبانين بخيلين « كل يمنع

الآخر حقه « شرهين حاذرين حاسدين متكبرين » كل لا يستحسن إلا
 فعل نفسه « لجوجين خائنين غادرين كاذبين منافقين هل يمكن ان
 يجمعهم ما مقصدا وتوحد بينهما غاية اليس كل وصف على حدته قاضياً
 بانتباز كل من صاحبه وان لم تكن داعية وكفى بخلقه وصفته باعثاً
 قوياً للتنبذ .

هذه الرزائل اذا فشّت في امة نفقت بناها وثمرت اعضائها .
 بددتها شذر مذر واستدعت بعد ذلك طبيعة الوجود الاجتماعي ان
 تسطو على هذه الامة قوة اجنبية عنها لتأخذها بالقهر وتصرفها في اعمال
 الحياة بالقسر فان حاجاتهم في المعيشة طالبة للاجتماع وهو لا يمكن مع
 هذه الاوصاف فلا بد من قوة خارجة تحفظ صورة الاجتماع الى حد
 الضرورة هذه صفات اذا رسخت في نفوس قوم صار باسهم بينهم
 شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى تراهم اعزة بعضهم على بعض اذلة
 الاجنبي عنهم يدعون اعدائهم للسيادة عليهم ويفتخرون بالانتماء اليهم
 يمهّدون السبل للغالبين الى النكاية بهم ويمكنون مخالف المتعالمين من
 احشائهم ويرون كل حسن من ابناء جنسهم قبيحاً وكل جليل منهم
 حقيراً اذا نطق اجنبي . بما يدور على السنة صيانتهم عدوه من
 جوامع الكلم ونفائس الحكم واذا غاص احدكم ببحر الوجود واستخرج
 لهم درر الحقائق وكشف لهم دقائق الاسرار عدوه من سقط المتاع
 وقالوا بلسان حالهم او مقامهم ليس في الامكان ان يكون منا عارف ومن

الحال ان يوجد بيننا خير . ويغلب عليهم حب الفخفة والفخر
 الكاذب ويتنافسون في سفاسف الامور ودنياها يرتابون في نصع
 الناصحين وان قامت على صدقهم اقطع البراعين يسخرون بالواعظين وان
 كانوا في طلب خيرهم من اخلص المخلصين يذلون جهدهم لحبسة من
 يسعى لاعلاء شأنهم وجمع كلمتهم ويقعدون له بكل سبيل يقيمون في
 طريقه العقبات ويهيئون له اسباب العثار وتراهم بتضارب اخلاقهم
 وتعاكس اطوارهم كالبدن المصاب بالفالج لا تتنظم لاعضائه حركة
 ولا يمكن تحريك عضو منه على وجه مخصوص المقصد معلوم فتفلت
 اعمالهم عن حد الضبط وتخرج عن قواعد الربط . فساد طباعهم بهذه
 الاخلاق يجعلهم منبعا للشر ومبعثا للضر يصير الواحد منهم كالكلب
 الكلب اول ما ييدا يعض صاحبه قبل الاجنبي بل كالمبتلي بخون مطبق
 اول ما يفتك بمربيه ومهذبه ثم يثني بطيبه ومن يعالج دائمه تكون الاحاد
 منهم كالامراض الاكالة من نحو الجذام والاكلة يمزقون الامة قطعاً
 وجذاذات بعد ما يشوهون وجهها ويشوشون هيئتها اولئك قوم يسامون
 في مراعي الدنيا والحسائس تغلب الذلالة على سائر اوصافهم فينتفخون
 على ابناء جلدتهم ويذلون لقزم الاجانب فضلاً عن عليتهم وبهذا
 يمكنون الذلة في نفوسهم من دونهم ويطبعونها على الخضوع للغرباء بل
 الاعداء الالاء من طبقة الى طبقة حتى تضمحل الامة وتنسخ هيئتها
 ونفنى في امة او ملة اخرى سنة الله في تبدل الدول وفنا الامم وكذلك

اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليه شديد « اعاذنا الله
من هذه العاقبة وحرس امتنا وملتنا من المصير الى هذه النهاية »

بقيت انما لحة نظر الى ما به تقتنى الفضائل وتمحص النفوس من
الرزائل حتى تسعد الجمعيات البشرية بالاتحاد وتصون به اكوانها من
الفساد : كل مولود يولد على الفطرة مادة مستعدة لقبول كل شكل
والتلون باي لون فهل ينال كمال الفضيلة من ابائه واسلافه . اني
يكون لهم حظ منها وقد كانوا ناشئين على مثل ما نشأ وليدهم يرشدنا
رائد الحق الى ان الاعتدال في اصول الاخلاق والتحلي بجلية الفضائل
وترويض القوى والالات البدنية على العمل بانارها انما يكون بالدين
ولن يتم اثر الدين في نفوس الاخذين به فيصيبوا حظاً وافراً مما يرشد
اليه فيتمتعوا بحياة طيبة وعيشة مرضية الا اذا قام روساء الدين وحملته
وحفظته باداء وظائفهم من تبين اوامره ونواهي وتثبيتها في العقول
ودعوة الناس الى العمل بها وتبنيه النافلين عن رعايتها وتذكير الساهين
عن هديها . اما اذا اهمل خدمة الدين وظائفهم او تهاونوا في تادية
اعمالها ضعف اليقين في النفوس وذملت العقول عن مقتضيات العقائد
الدينية واظلمت البصائر بالغفلة وتحكمت الشهوات البهيمية وتسلطت
الحاجات المعاشية ومال ميزان الاختيار مع الهوى فحشدت الى الانفس
اوفاد الرزائل فيعنى على الناس كلمة العذاب ويحل بهم من الشقاء
ما اشرنا اليه سابقاً

هذه علل الخراب في كل امة ولقد ظهر اثرها في امم لا تحصى
عدداً من بداية كون الانسان الى الان ولم يزل بقايا بعضها يشهد على
ما فتكت به الرزائل فيهم بعد ما بدلوا وغيروا كما في طائفة الدهيرو
(منك) من سكنة الاقطار الهندية المعروفين عند الاوربيين بطائفة
« باريا » قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلكم . فالدين وهو السائق الى السعادة في الدنيا كما يسوق اليها
في الآخرة

نقلب قلب الدهر على بعض طوائف من المسلمين في اقطار
مختلفة من الارض وسلبهم نيجان عزم والقاها على هامات قوم اخرين
واليوم ينازع طوائف اخرى ولا نخاله يتغلب عليهم فكشف هذا عن
نوع من الضعف ولا يكون ناشئاً إلا عن شيء من الاهمال في اتباع
اوامر الشرع الاسلامي ونواهيه بحكم قول الله في كتابه ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقد يكون ذلك وربما لا ينكر الان ان
كثيراً من عامة المسلمين وان صحت عقائدهم من حيث ما تعلق به
الاعتقاد إلا انهم لا ينجحون في بعض اعمالهم منهاج الشريعة الفراء
وهذا مما يحدث ضعفاً في قوة الالة بقدر الميل عن جادة الاعتدال في
الفضائل والاعمال وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم

إلا ان المسلمين لم يزلوا على اصول الفضائل الموروثة عن اسلافهم
ولها حسن الاذعان بما جاء به شرعهم وكتاب الله متلو على السنتهم

وسنة نبهم يتناقلونها رواية ودراية وسير الخلفاء الراشدين والسلف الصالح مرسومة على صفحات نفوس الخاصة منهم فليس ما طرأ على بعضهم من الغفلة عن متابعة الشرع وما تسبب عنه من الضعف في القوة الا عرضاً لا بقاءً وحالاً لا يدوم

انظر نظرة انصاف الى ما اودعته آيات القرآن من غرر الفضائل وكرائم الشيم والى حرص المسلمين على احترام كتابهم وتبجيله تجدد من نفسك حكماً باتاً بان علماء الديانة الاسلامية لو نشطوا لاداء وظائفهم المفروضة عليهم بحكم وراثتهم لصاحب الشرع والمحتومة على ذمتهم بامر الله الموجه الى الذين يعقلونه وهم هم في قوله الحق ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وبالحض الالهي المفهوم من قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم «المؤمنين» طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ولو قاموا يعظون العامة بما ينطق به القرآن ويذكرونهم بما كان عليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الناهجون على سنته من الاخلاق الحمودة والاعمال المبرورة لرايت ان الامة الاسلامية ناشطة من عقالمها مضافرة على اعادة مجدها وصيانة ولايتها العامة من الضعف وبیضة دينها من الصدع كل ذلك في اقرب وقت ولن تكون الا صيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون

ولا ريب ان الراشدين في العلم من اهل الدين الاسلامي يعلمون

ان ما اصاب به المسلمون في هذه الازمان الاخيرة انما هو مما امتحنهم الله به جزاء على بعض ما فرطوا وليس للناس على الله حجة فالرجاء في همهم وغيرتهم الدينية وحميتهم المالية ان يوجهوا العناية الى رفق الفتق قبل اتساعه ومداواة العلة قبل استحكامها فيذكروا ابناء الملة باحكام الله ويحكموا بينهم روابط الاخوة والالفة كما امر الله في كتابه وعلى لسان نبيه وبذلوا الجهد لحوالباس والقنوط الذي ملك افئدة البعض منهم ويقنعوهم انه لا يأس من لطف الله الا الذين في قلوبهم مرض وفي عقائدهم زيغ ويسيروا بهم في سبيل يجمع كلمتهم ويوحد وجهتهم ويقوي فيهم اباية الضيم والنفرة من الذل ويحرك فيهم روح الانفة حتى لا تسمح نفس امدهم ان ياتي الدنية في دينه ويكشفوا لهم حقيقة وعد الله ووعد الحق في قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين



اسماعيل باشا

لهج كثير من الجرائد الاوربية في هذه الايام بذكر اسماعيل باشا خديوي مصر السابق ومنها جرادة البال مال كازيت قالت اما ان تستولي انكلترا على مصر او تدم الادارة فيها لاسماعيل باشا ونقل احد محرري هذه الجرادة عن مادم توفيكوف وهي صديقة شهيرة لمستر غلادستون انها قالت له ان احسن وسيلة لتقرير الراحة في مصر وجعل مصر للمصريين هو اعادة اسماعيل باشا اليها وذكرت احدى جرائد المانيا ان كلامها يشبه ان يكون رسمياً

اما نحن فسنبين رأينا في هذه المسئلة ونبدي فكرنا فيما يتعلق منها بالسلطان العثماني والطريقة التي ينبغي ان يسلك فيها وما يرتبط منها بمصلحة المصريين وما

يجب على انكليترا ان تأخذ به لو كانت كما تزعم تريد التخلص من ورطة المسئلة المصرية ولا نظنها صادقة .

نجل

كتب الينا احد اهالي نجد رسالة طويلة يحكي بها ما فعله قنصل الانكليز مستر (كرنل بيلي) الذي كان قنصلاً لدولته في خليج فارس ومقره بيندرايو شهر وما توسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠ ايام كان امير نجد الامير فيصل وقصد برواية هذه الحادثة تنبيه اخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التي تشبث بها القنصل للتدخل في سواحل البلاد النجدية وبين ما اتخذته الانكليز وسيلة للهجوم على ارض مصر الا اننا لانذكرها الا لقدم عهدا وسنفرد لها ولامثالها كتاباً مخصوصاً تفصل فيه ما فعل الانكليز في البلاد التي ملكوها من الممالك الشرقية والبلاد التي حاول الاستيلاء عليها ولم يستطيعوا مع استمرارهم في طلب ما يمكنهم من مقاصد ونطبع هذا الكتاب ونوزعه مجاناً .

الجرائد الهندية

جاءت الينا الجرائد الهندية فسرنا اعتدال سيرها في خدمة اوطانها وزادنا سروراً عنايتها بترجمة مقالاتنا المتعلقة باحوال الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ونقلنا من اللسان العربي الى اللسان الهندي فله شكرها على ما صنعت ونخص من بينها جريدة (اخبار دار السلطنة) التي تطبع في كلكتة وجريدة (مشير فيسر) التي تطبع في لكهنؤ وهذا كان املنا في ارباب تلك الجرائد وليس بغريب على غيرتهم الدينية والوطنية .

هذا ما كان من مسلمي الهند وهم في قبضة الانكليز من مدة تزيد على قرن واننا نأسف غاية الاسف مما بلغنا عن بعض المصريين من انهم يمتنعون عن

استلام ما يرسل باسمائهم من اعداد هذه الجريدة خوفاً ورهبة مع انهم احق الناس بالافدام على امور عظام في هذه الاوقات فان الآمال في خلاصهم قوية والوسائل اليه قريبة فكيف يصل بعضهم الخوف الى الامتناع عن استلام جريدة هم اولى بها من غيرهم اذ هم ما فيها الدفاع عنهم

كتب الينا صديق فاضل من خلس المؤمنين بالقطر المصري قال :
 ان مأموري الانكليز الاخذين بزمام بعض الوظائف المصرية لا يزالون يسعون في تقرير الاهالي والتحيل عليهم ودس الدسائس بينهم بطرق مختلفة من الترغيب والترهيب كل ذلك ليرضوهم بطلب الحماية الانكليزية إلا ان اولئك الالهة لا يلاقون في سعيهم إلا خيبة لان العلماء واعيان البلاد قد احاطوا بغايات الانكليز ومقاصدهم وعلما انهم لا يقصدون بالبلاد الا الشر كما لم ينلها من حلولهم إلا الضرر خصوصاً وان روح الحمية والغيرة الدينية والوطنية صار لها السلطان الاعظم على نفوس اهالي القطر المصري فاشتدت انتفتهم من تسلط الانكليز في ديارهم وقاوموا مطالبهم بعزائم ثابتة وقلوب غير واجفة وهذا هو ظننا بل يقيننا في ابناء القطر المصري علمائهم وامرائهم وحكامهم واعيانهم واوساطهم بل وسائر طبقاتهم ان لا تسمح نفس واحد منهم بمجاعة الانكليز في رغبتهم وان لا يطعنن قابله بالدخول تحت سيادتهم بل ببقاء شخص منهم في بلاده وعلى مرمى نظره فان وجد بينهم شخص يتخذ الهه هواه ويميل مع الباطل فهو ممن يعرف المصريون سيرته في افناد ليله واطراف نهاره فلا يثقون به وبما اخبر به الصادق ان كليفور لو يدبجته لتسلم رئاسات البلاد الى اناس من طبقة يتوهم فيها سقوط الهمة وسخافة الرأي ليشمكن بهم من اجراء بعض مقاصده لكن لم يتسن له نجاح ولئن نجح في تحويل الرئاسات من نصابها فلا يلاقي ممن يستلمونها إلا مثل مالافي من غيرهم فان الجميع مصريون يفضلون ظلم ابناء وطنهم على عدل الاجنبي فكيف لو كان الاجنبي لا يقاس بظلمه ظلم ثم قال صديقنا الفاضل زاد الويل اضعاك على

الاهالي بالمجالس المحلية فان الانكليز لم يراعوا في تشكيلها مصلحة الرعية وانما
 وضعوا في جوهرها ما يضييق عليها سبل المعاملة اخماداً لنفوسها لينالوا حظهم من
 السيادة عليها ولم يعلموا ان بنحس الحقوق من اشد موجبات العقوق وفي الامثال
 العربية « زر كلبك للطاق يا كلك » اي ضيق عليه . اما الفلاحون فاحوالهم
 سيئة ضيق وضنق وفقر واعدام ما يفتت الاكباد ويذيب القلوب ويفطر الجناد
 الحكومة مضطرة لطلب الاموال وملجاة الى تكليف الفلاحين بدفع ما عليهم
 والاجانب قائمون على اقتضاء ديونهم منهم والكساد ورخص اسعار الحبوب وثمرات
 الزراعة لم يجعل في المحصولات وفاء بضرورات المعيشة فضلاً عن اداء المطلوبات
 فكيلة القمح بستة قروش والذرة باربعة وعلى هذا يقاس . ومن ثم تسمع كل
 يوم تنعاب اغربة الدالين في فناء ديوان الحفائية على خراب بيوت الفلاحين
 هذا يتادي على بيع اراضيها باسرها وهذا ينعق عليه يبيع بعضها والاخر بالحجر
 على املاكه والحكومة لا تني في طلب ضرائبها قبل اوان المحصولات . اما احوال
 المدن فايست باسعد من احوال الارياف خصوصاً من تعديات الاجانب على
 سكانها فالمنازعات والمخاصمات بين الاجانب والوطنيين يقضي فيها على الوطني بالتغريم
 والجزاء ولا يؤخذ على الاجنبي في شيء وان كان هو المعتدي . وان سأل الوطني
 ابن خصمي فيقال له انه يحاكم في محل آخر مع انه لم يذهب الى مقام المحاكمة رأساً
 واكتفى في فصل الدعوى باحد الخصمين وهو طرز من الحكم جديد (هذا بعض
 اثار العدالة الانكليزية) وجاء في خبر صدقنا هذا رواية كثير من المظالم التي
 اصيب بها اهل القرى من جراء التداخل الانكليزي في ادارات الحكومة ضربنا
 عن ذكرها رعاية لجانب الاختصار بعد وضوحها عند اولي الامر من المصرين اما
 الامن فلم يبق له اثر واما النظام فقد نقض بناؤه واقطع اساسه واخزن الانكليز
 نقاضه في خزائن الآثار القديمة فقويت عضابات اللصوص وجاهروا بالنهب والسلب
 وهذا خبر تو كده روايات الجرائد الوطنية المصرية عربية وافرنجية فان جميعها
 يشتمل الملل والسامة من رواية اخبار السوء كل يوم . الا ان من غريب الوقائع

هجوم افييف من السارقين على قرية نشرت ونواحيها من مديرية الغريبة وقتلهم واحداً واربعين رجلاً فان خبر هذه الواقعة ان صح كان دليلاً على بلوغ الاختلال الى درجة فوق ما كنا نتصور نسال الله السلامة كما نساله ابدال عسر المصير بين باليسر وهو على كل شيء قدير



اخبار سياسيه

قبلت الحكومة الفرنسية ان تدخل في المؤتمر لكن على شرط ان لا تذهب اليه مغلوله البدين غضبته الطرفين وان لا بد قبل ذهابها اليه من مخاطبة بينها وبين انكلترا فيما يلزم ان يكون موضوع البحث في ذلك المؤتمر وقد اجمع السياسيون في فرنسا على ضرورة امتداد البحث الى ما وراء المالية من ادارة البلاد المصرية واقرار الراحة فيها

الجرائد الانكليزية تظهر خوفها من تشديد فرنسا وتستنجد اوربا وترى ان مداخلة الدول جميعها في مصر واقامة مراقبة دولية لحكومتها لا تمتاز فيها دولة عن دولة خير من مداخلة فرنسا وحدها مع انكلترا وان عارضت ذلك جريده الشمس وحدها . وفي بعض الجرائد الروسية ان انكلترا لا يمكنها ان تضع حمايتها على مصر لظهور عجزها عن ادارة البلاد بعد الحلول بها منتين وهي مطلقة التصرف لا مزاحم لها وبعد المعجز لجأت الى دول اوربا اما دولة فرنسا فلا يهملها اعادة المراقبة المشتركة بين الدوائين ولكن يهملها ان لا تختص انكلترا بالامتيياز في مصر

ذكرت كثير من الجرائد الالمانية نقلاً عن مصدر يوثق به ان الباب العالي لم يقبل الاشتراك في المؤتمر الا على شرط ان تكون المداولة فيه غير واقفة عند حد المالية بل من اللازم ان يكون موضوع نظره لائحة غرانفيل المرسلة الى الدول في يناير سنة ١٨٨٣ (عند ما كان دوفرين في القاهرة) وعلى هذا فالدولة العثمانية